حوار أم خوار؟![1]

الشيخ؛ بكر بن عبد العزيز الأثري

الحمد لله مظهر الحق ولو بعد حين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فلا زلتُ أذكر جيداً حين زاحمتْ دروس الشيخ العلامة محمد الحسن ولد الددو وقت الامتحانات النهائية للكلية الشرعية، فكنتُ أحرص –كل الحرص– على إنهاء الامتحانات سريعاً لأشرف بثني الركب عند الشيخ، كيف لا؛ وشيخنا المجاهد أبو يحيى الليبي حفظه الله يقول عنه: "**فالشيخ –غفر الله لنا وله– بحر علم خضم، تتلاطم أمواج الفنون بين أضلعه، والكتاب الهادي الذي جعله الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، حاضر في ذهنه كالسورة الواحدة كلما طلب آية أجابته، وحيثما دعاها قالت لبيك**".اهـ [بل مدافعة الكفار فريضة شرعية وسيرة نبوية ص1].

وأذكر مرة حين كنت واقفاً أنا وصاحب لي مع الشيخ، وكان صاحبي يطيل النظر في رجل الشيخ! فلما انصرفنا من عند الشيخ، قال صاحبي: كنت أتأمل في بذاذة الشيخ ورثة ثيابه: إزار متواضع ونعل قديمة! فقلت له: هذا زهد العلماء في هذه الدنيا.

فكنا نحسب الشيخ –والله حسيبه– قد جمع بين العلم والزهد، على بعض الملاحظات التي كنا نلاحظها عليه، ولكننا لم نظن يوماً أن الشيخ سيبحر مع من أبحر في مركب السلطان وموكبه!

قال شيخنا المجاهد أبو يحيى الليبي حفظه الله في رده على كتاب الشيخ ولد الددو: "التعايش مع الآخر حقيقة تاريخية وضرورة واقعية"، قال: "لنعدها كبوة فارس، ونبوة ضارب، وزلة عالم، **ونرجوا أن يكون هذا هو المبدأ والمنتهى، وأن لا يلحقها شيء من أخواتها**".اهـ [بل مدافعة الكفار فريضة شرعية وسيرة نبوية ص1].

---

[1] قال العلامة ابن منظور رحمه الله: "الخوار: صوت الثور وما اشتد من صوت البقرة والعجل... وقد خار يخور خواراً: صاح؛ ومنه قوله تعالى: (فأخرج لهم عجلاً جسداً لهُ خوار)".اهـ [لسان العرب 245/3].

فكانت تلك هي المبدأ كما رجاها شيخنا، ولكن لم تكن هي المنتهى! بل لحقها أشياء من أخواتها وأشياء! فهاهو الشيخ ولد الددو اليوم على رأس حربة علماء السلطان في موريتانيا، يُطاعن بهم السلطان الموحدين في غياهب السجون.. قال الشيخ مفتخراً بذلك: "**كنت أنا أول من دخل السجن إلى السجناء في أول الحوار**".اهـ[2] فـ (يا حسرة على العباد)!

كيف يا شيخ ترضى لنفسك أن تقود حواراً بالصوت والسوط؟! فقد قلتَ أنت في مقابلتك لقناة الجزيرة: "وكانت الخطوة الأولى أن يقام مؤتمر تنظمه وزارة الشؤون الإسلامية يتناول هذا الفكر بشيء من التأصيل والمناقشة وأقيم المؤتمر فعلا **وحضره رئيس الدولة وجميع الوزراء والعلماء ودعي له حتى قادة الأركان** والمنتخبون ونجح نجاحا باهرا وكان من توصياته إقامة الحوار المباشر مع السجناء في السجن.".اهـ وقلتَ: "وكلفت لجنة من ثلاثة وزراء هم وزير الشؤون الإسلامية **ووزير الداخلية ووزير العدل** بالإعداد له".اهـ

أوردها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا يا سعد تورد الإبل!**

إن حواراً من هذا النوع محكوم عليه بالموت قبل أن يولد، فكيف إذا ولد في عقر قعر السجون، في ظلمة الآهات والشجون؟!

إن التاريخ قد حدثنا بنظائر هذا الحوار، وهي نظائر كثيرة لا تخفى على الصغار الأغرار! قال صالح بن أحمد بن حنبل: قال أبي: كان يوجه إليّ كل يوم برجلين –أي في السجن–، أحدهما يقال له: أحمد بن أحمد بن رباح، والآخر أبو شعيب الحجام، **فلا يزالان يناظراني، حتى إذا قاما: دُعي بقيدٍ، فزيد في قيودي، فصار في رجليّ أربعة أقياد**. فلما كان في اليوم الثالث، دخل عليّ فناظرني، فقلتُ له: ما تقول في علم الله؟ قال: مخلوق.

[2] زعم الشيخ ولد الددو أنه أفحم خصومه وألجمهم مما أدى بهم إلى أن يتبعوه ويقروا له! وكما قيل: إذا أتاك من يشكو فقأ عينه فلا تحكم له، وتريث حتى تسمع من الآخر فقد يكون قد فُقأت عيناه!

ويظهر من كلام الشيخ نفسه ما يوحي بتدليس الشيخ وتلبيسه، فلو تتبعنا كلامه –وليس لنا إلا ذلك– لوجدنا التناقض الواضح فيه! وخذ مثلاً قوله: "هؤلاء الشباب أكثرهم من المثقفين والدارسين في المحاضر (مدارس للقرآن والعلوم الشرعية)، بل إن بعضهم يشار إليه بالعلم وبعضهم من الخطباء". ثم يزعم الشيخ أن هؤلاء الشباب لا يعرفون "العام الباقي على عمومه، والعام المراد به الخصوص، والعام المخصوص"! فكيف يمكننا الجمع بين ذلك، وأقسام العام يعرفها كل من قرأ كتاباً واحداً في أصول الفقه؟!

قلتُ: كفرتَ بالله[3]، فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل إسحاق بن إبراهيم: إن هذا رسول أمير المؤمنين. فقلتُ: إن هذا قد كفر. اهـ [مقدمة مسند الإمام أحمد لأبي صُهيب الكرمي ص 459، وانظر حلية الأولياء 329/6].

وكذلك وقع للإمام عبد العزيز الكناني رحمه الله، فقد ذكر في كتابه الحيدة كيف جرت المناظرة بينه وبين علماء السلطان وهو في سجنه، ولقد قالوا له قبل المناظرة: "**وليس وراءك بعد الحجة عليك إلا السيف**، فانظر لنفسك، وبادر أمرك قبل أن تقع المناظرة، وتظهر عليك الحجة، فلا تنفعك الندامة، ولا تقبل لك معذرة، ولا تقال لك عثرة..".اهـ [الحيدة ص10].

وهكذا العاجز عن المحاجة في كل زمان ومكان، ينحاز إلى سوط السلطان قبل صوت البيان!

ما عندهم عند التناظر حجة * أنى بـهـا لموظـــــــف حيرانِ**

لا يفزعون إلى الدليل وإنما * في العجز مفزعهم إلى السلطانِ**

بل إن أهل العلم قد ذموا هذا النوع من الحوار حتى مع أهل البدع والأهواء، وأهل الضلال الأشقياء!

فهذا الشيخ محمد أبو زهرة لما ذكر المناظرة التي جرت بين الإمام الأوزاعي وغيلان القدري، وقد كان غيلان في قبضة السلطان[4]، قال تعليقاً عليها: "وإن هذه المناظرة إذا صحت -ولا مانع عندنا من قبولها- **ليست مناظرة تساوى الطرفان فيها، بل كان أحدهما حراً طليقاً في إلقاء الأسئلة، والآخر ليس له إلا أن يجيب من غير استفسار، فإما الإجابة وإما السيف. ويظهر من سياق القول أن الحكم بالإعدام قد سبقها، فكانت تبريراً للإعدام أمام الناس، ولم تكن سببه وباعثه.** ومثله كمثل من يحكم ثم يسمع الشهادة لأجل تنفيذ الحكم. لا لأجل إصدار الحكم، ثم إن الأسئلة كلها كانت تتجه نحو غاية واحدة تبلغ من الإبهام حد الإلغاز، حتى أن هشاماً لم يفهم السؤال في الأصل، ولو كان يريد الحق لاستفسر عن المعنى قبل أن يقتل، فكانت أشبه بالأحاجي منها بالأسئلة،

---

[3] وفي حلية الأولياء قال الإمام أحمد له: فقلت له: يا كافر، كفرت. اهـ [حلية الأولياء 329/6]

[4] انظر: "العقد الفريد"، و"سرح العيون"، و"محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي"..

ولم تكن إذن مناقشة. بل كانت تعلة تتخذ ذريعة للقتل الذي تقرر قبلها".اهـ [تاريخ المذاهب الإسلامية ص 115].

وإن الناظر في حال الشيخ ولد الددو ومن لف لفه يجدهم قد عدلوا مع كل الطوائف والفرق إلا مع أهل الفرقة الناجية، فجلسوا مع جميع أولئك ويجلسون للمناقشة والمحاورة العلمية ويحكم بينهم طرف محايد أو شبه محايد، لكنهم لم يجلسوا ولن يجلسوا مع علماء أهل الحق إلا وهم الخصوم والحكام! وما أطيب قول أبي الطيب حين قال:

يا أعدلَ الناسِ إلا في مُعاملتي * فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخصمُ والحكمُ!**(5)

وأي إنصاف يُلتمس من مثل هذه المحاورات، التي يكون الخصم فيها محاوراً وحكماً؟! قال الشيخ المجاهد أبو جندل فارس الزهراني قبل أن يُسجن: "فإن كان هؤلاء دعاة حوار كما يزعمون، فليُجمعوا أمرهم ثم ليأتوا صفاً، **وأنا لا أقبل المناظرة في سراديب الظلام والسجون**، وإنما أقبلها علنية مكشوفة أمام الناس أجمعين".اهـ

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: "**فلسنا نتكلم مع المخاوف، وإنما المناظرة مع الأمن**".اهـ [التقريب لحد المنطق ص187]، وقال أيضاً عن المحاور: "**فإن كان ممتنع الجانب فليجتنب كما يجتنب المجنون، فأذاه أكثر من أذى المجانين**".اهـ [التقريب لحد المنطق ص196].

لذلك لما أتاني من يريد مناظرتي ومحاورتي وأنا في بعض السجون، رفضت ذلك رفضاً باتاً، قال الإمام القحطاني رحمه الله في نونيته:

واحذر مناظرة بمجلس خِيفةٍ * حتى تبدل خـــيفة بأمانِ**

ويكون بينكما حكيم حاكماً * عدلاً إذا جئتاه تحتكمانِ**(6)

فيا شيخ محمد ولد الددو هلاّ عرجتَ على مشايخنا وعلمائنا الأحرار وحاورتهم مثلما حاورت السجناء إن كنت صادقاً؟! فوالله إن لسان حال كل واحد منهم قول سلفه عمر بن عبد العزيز رحمه الله في رسالته إلى شوذب الخارجي حيث قال: "**بلغني أنك خرجتَ غضباً**

(5) ديوان أبي الطيب المتنبي ص510.

(6) نونية القحطاني ص40.

لله ولنبيه، ولستَ أولى بذلك مني، فهلمَّ أُناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلتَ فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا". اهـ[7]

والشيء بالشيء يُذكر؛ لقد عرضتُ على بعض من يخرج على قناة المستقلة –منذ سنوات خلت–: أنهم قد أقاموا مناظرات مع الرافضة، والصوفية، والأشاعرة، والإخوان المسلمين..إلخ **فلم لا يُقيمون مناظرة مع من يصفونهم بالتكفيريين "السلفية الجهادية"؟!** وإلى اليوم لم يشاهد أحد أي مناظرة ولو مع طويلب علم من السلفية الجهادية، فضلاً عن أن يسمع أحد بمناظرة مع طالب علم متقدم أو عالم من أهل هذا المنهج المبارك**!** ليبقى السلفي الجهادي، **المتهم الغائب** في كل محفل وناد، ولكنه يكفيه أن يدفع عنه رب العباد: (**إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور**).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين.

وكتب: أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري

1431/2/29هـ - 2010/2/13م

منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.net
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com
http://www.mtj.tw

(7) راجع المناظرة التي جرت بين عمر وشوذب عند ابن الحكم ص99-102.